

القوى المحلية ودورها في تثبيت الحكم العثماني في بلاد المغرب (ق 18-19م)

الأستاذ/ محفوظ سعيداني

قسم التاريخ - جامعة الجزائر 2

الملخص:

يطلق على القوى المحلية في بلاد المغرب في العهد العثماني عدة تسميات أهمها القبائل المتعاملة أو المخزنية رغم قدم هذا النوع من القوات، إلا أنه في الفترة العثمانية زاد دورها خاصة ما بين القرنين 18-19م وهذا بسبب الحالة العامة للمنطقة والضعف الخارجي والاحتياجات المادية لتلك الحكومات. على الرغم من تباين أصول تلك القبائل وظروف تكوينها، فقد انتظمت في شكل مجموعات سكانية ذات صبغة عسكرية وإدارية، مقابل امتيازات مادية ومعنوية، فكانت كجيش احتياطي يقاد من طرف قادة عثمانيين ففي الجزائر نجد مثل قبائل العبيد، مكاحلية، زمول، دوائر...، وبتونس مزارقية، حوانب، زواوة...، أما بطرابلس الغرب فسميوا بالعسكر الرديف مثل كراغلة المنشية، المحاميد....

اهتمت الإدارة العثمانية بهذه القوة المحلية للدور الحاسم الذي كانت تلعبه على مستوى الأرياف، فارتبط امتداد ونفوذ الحكومة بمدى نشاط هذه القبائل بمشاركتها في المحلات العسكرية، المراقبة، جمع الضرائب إقرار الأمن والقضاء على التمردات التي كانت تشهدها المنطقة في أواخر الحكم العثماني، وهو ما ساهم في تثبيت وبقاء هذا الحكم إلى فترة تزيد عن ثلاثة قرون.

الكلمات المفتاحية: قبائل المخزن، بلاد المغرب، العهد العثماني،

المحلات العسكرية، تثبيت الحكم.

المقدمة:

من المنطلقات التي يعتمد عليها المؤرخون والكتاب في تاريخ الدولة العثمانية والأقطار التي اتبعتها، على أنها إمبراطورية بنيت على مبدأ المؤسسة العسكرية، المعروفة بالجيش الانكشاري، لذا كان هذا الجيش هو المسيطر على كافة أراضيها، ولم تكن الأقطار المغربية بمنأى عنه، ولكن الإشكال الذي يطرحه بعض الكتاب خصوصاً الغرب منهم، وهو كيف تمكن العثمانيون من حكم منطقة بلاد المغرب بعدد قليل من جند الانكشاري لفترة تزيد عن ثلاثة قرون.

وهذا ما دفعنا في خوض غمار هذا الموضوع كمحاولة متواضعة لإلقاء الضوء على هذا الجانب المهم والتعرف على كيفية إرساء وتدعيم ركائز السلطة المركزية في بلاد المغرب في العهد العثماني، والآليات التي أوجدها هذا النظام من أجل تفعيل أو إيجاد قوة عسكرية داعمة له وتكون محلية، ومن هذه النقطة سوف نحاول الولوج في هذه القوى لتتعرف على أهم التشكيلات العسكرية غير النظامية التي رافقت الجيش الانكشاري النظامي، وساهمت في عملية تثبيت الحكم المركزي العثماني ببلاد المغرب.

منطلقين من القرن الثامن عشر لأنه شهد تغيرات سياسية كان لها دور في بلورة فكرة استقلال المنطقة عن السلطة العثمانية، مع الحفاظ على الولاء الاسمي فقط، عن طريق الحصول على فرمان التولية مع الفقطان واليطغان من السلطان العثماني، كما أن حكام بلاد المغرب ظلوا وقيّين لها فناصروها في مواقفها واعتبروا أنفسهم دائماً تحت رايتها، ففي تونس ظهرت الأسرة الحسينية في 1705م وفي بطرابلس الغرب الأسرة القرمانيّة سنة 1711م، إذ أن قيام هاتين الأسرتين قد أعطى لكل منهما شكلاً نسبياً من شخصية الدولة القومية بالمفهوم الحديث، ذات خصوصيات في أجهزتها السياسية والإدارية والعسكرية المحلية، أما الجزائر في سنة 1710م برفض الداوي علي استقبال الباشا الموفد من

الباب العالي، ولذلك إذا لاحظنا أن قيام هذه الأنظمة كان تقريبا متزامنا مع اختلاف طفيف في المدة التاريخية، لذا كان مطلع أو بداية القرن الثامن عشر منطلق لهذه الدراسة المتواضعة.

1. الطرق الصوفية والعلماء:

ارتأينا قبل التطرق للقوى العسكرية التي تم إنشاؤها في البلاد المغرب، أن نعرض على قوة كان لها دور لا يقل أهمية عن دور العسكري، بما أسهمت به في إرساء ثوابت الحكم العثماني، ومسايرتها له في كافة فتراته، والمتمثلة في بروز الطرق الصوفية والعلماء، في ظل أحداث حسام عاشتها المنطقة نهاية القرن 15م، فكان الواقع ينذر بخطر عام فوضى سياسية داخلية اتسمت بالتصارع وتراجع السلطة المركزية التي تقاسمتها كل من الإمارة المرينية بالمغرب الأقصى والزيانية بالأوسط والحفصية بالأدن، وفشلها أحيانا حتى في الدفاع عن أسوار مدينتها، مع ظهور التهديد الخارجي، كل هذا فسح المجال أمام ظهور سيطرة السلطة الروحية لطرق الصوفية على غالبية السكان بالأرياف، كما تمكن العلماء من التأثير على المجالات الحضرية مع إقطاعيات محلية مثلتها شيوخ القبائل⁽¹⁾.

وفي هذا الوضع حمل المرابطون راية الجهاد⁽²⁾ ضد أعداء الدين الذي مثله الاحتلال الإسباني والبرتغالي ذو النزعة الصليبية، فتوسع نفوذ الطرق الصوفية في بلاد المغرب، أمام ضعف القوة النظامية المحلية، فانضوت العامة المسلمة تحت لواء الطرق الصوفية المحلية لتتشد الأمن معها، فكانت غالبية

(1). صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005، ص 363.

(2). أبو القاسم سعد الله، "السلطة والطرق الصوفية في المغرب العربي أثناء العهد العثماني"، عن خطي المسلمين حراك في التناقض، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 185.

المجندين من العامة واقعين تحت التأثير المباشر لتلك الطرق، فكانت الموجه والمؤثر على حركة الجنود عندما ينطلقون للجهاد أو يرجعون منتصرين ببركات شيوخهم الصالحين⁽¹⁾.

وأقام رجال الطرق الصوفية الزوايا بالأرياف وسيطروا بها على العامة، مثل القادرية والشاذلية، وتقوت بقيادة المرابطين ودعوتهم للجهاد، فحفزوا شعوب المنطقة لمواجهة الخطر الخارجي الزاحف من على سواحل الجزائر، تونس، طرابلس وبجاية، نظرا لعجز الأسر الحاكمة أو الأمراء على شحذ همم الناس، فأصبح المرابطون في منتصف القرن الخامس عشر في نظر المسلمين هم الجديدين بالدفاع عن الإسلام، وزاد في سمعتهم ظهور كيانات إقطاعية دينية أو صوفية بعيدة عن السلطة الزمنية مثل سيدي سينا و سيدي هجرس بالهضاب العليا بالجزائر، والذي تتبعته عشرات القبائل، والشاذلية في تونس بالقيروان⁽²⁾.

وفي أوائل العهد العثماني كان أكثر من ثلثي الجزائر وحدها تحت حكم المرابطين مباشرة، أي أن السلطة المركزية تكاد تكون معدومة في الأرياف، وكان الوضع في بلاد المغرب مشابه لحالة الجزائر، أما في المدن فرغم أنها في الظاهر خاضعة للسلطة الزمنية ولا سيما العواصم، فإنها لم تسلم من تأثير المرابطين، فأصبح كثير من أعيان المدن تحت طائلة أهل الصوفية، وكان بعضهم قد تلقى تعاليمها ودخل في حزبها⁽³⁾.

(1). حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقدم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر 2005، ص 19-20.

(2). سعد الله، "السلطة..."، مرجع سابق، ص 192.

(3). عباد، الجزائر...، مرجع سابق، ص 366.

وبظهور الإخوة بربروس كانت مفاتيح بلاد المغرب في يد المرابطين، فزكي هؤلاء الإخوة من طرف مرابطي المنطقة، فأصبحوا كأبطال جاؤوا للدفاع عن الإسلام بشن غارات ضد سفن الصليبيين، ونجدة الأندلسيين، فوجد العثمانيون الدعم من الاقطاعات الدينية أو الإمارات الجديدة مثل إمارة كوكو وأهل زواوة الذين وفروا لهم الفرسان، التي دخل بها عروج مدينة الجزائر، ومدينة تنس في 1518م⁽¹⁾. كما تحالفوا مع بني عباس وأشركوهم في حملاتهم على تلمسان سنة 1545م، وسنة 1550م حيث قاد أمير بني عباس عبد العزيز فرقته العسكرية بنفسه، وفي 1552م اشترك مع صالح رايس باشا في حملته ضد تقرت في صحراء الجزائر الشرقية⁽²⁾

وتحصل العثمانيون بفضل المرابطين على مساندة الرأي العام، فدانت لهم بلاد المغرب، في حين تحصل المرابطون على عدة امتيازات كالإعفاءات، العطايا، الحماية والأمن لهم ولأحفادهم وذويهم من بعدهم، مثل المرابط محمد بن شعاعة الزعيم الروحي لقبيلة بني زروال حالف العثمانيين وساندتهم بنسبة مئوية من الجزية التي كان يدفعها يهود مستغانم وكذا خراج قبيلة فليته.

وفي الحواضر استعمل العثمانيون سياسة ضرب الصفوف، مثلما حدث في قسنطينة تحالفوا مع أسرة ابن الفكون وأبعدوا أسرة أولاد عبد المؤمن المتعاملة مع الحفصيين، فتمكنوا هذه الأسرة من حصد الحضوة والامتيازات والإعفاءات والمكانة طيلة العهد العثماني وصاحبة الكلمة الفاصلة في قسنطينة في مختلف المجالات⁽³⁾، وعائلة قدورة العلمية بمدينة الجزائر وعائلة البوي الصوفية

(1). سعد الله، مرجع سابق، ص 195.

(2). يحي بوعزيز، دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 29.

(3). سعد الله، مرجع سابق، ص 195.

والعلمية والشيخ احمد بن يوسف الملياني زروقي الطريقة أي الشاذلية، والتي شاعت من فاس إلى طرابلس الغرب، وقد بقيت هذه الأسرة الصوفية محل تبحيل واحترام بعد انتقلهم من تلمسان إلى مليانة وكذا محمد الهواري، ابراهيم التازي، الشيخ علي النوري السفاقصي، علي عزوز⁽¹⁾ وأسرة البكري، الرياحي، المناعي والاصرم⁽²⁾ بتونس وعبد السلام الاسمر بطرابلس الغرب⁽³⁾.

فحضري رجال الطرق الصوفية والعلماء بتشريف واحترام من العثمانيون طيلة فترة حكمهم، وهذا لأهميتهم الروحية والزمنية، فكانت المكاتيب والرسائل الرسمية توقع من طرف العلماء، كطلب فرمان التولية من الدولة العثمانية، وتنصيب الحكام بمبايعة أهل الحل والعقد، والخروج للحروب بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين لتبرك وطلب العون وحسن الطالع، فأوقف الحكام العثمانيون الأراضي وبنوا ورموا الزوايا وأجروا الجرايات والعطاءات ومنحوا الألقاب الشرفية⁽⁴⁾، وكل هذا بسبب ما تمثله هذه القوى بالنسبة للعامة سواء بالريف أو الحاضرة، وما ثورة درقاوة والتيجانية في القرن التاسع عشر لخير دليل.

وتعتبر الفترة الممتدة من مستهل القرن الثامن عشر إلى غاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، محل اهتمام الحكام العثمانيين بتحول أنظارتهم نحو دواخل المنطقة، نتيجة الضغوطات الخارجية واحتياجاتها المادية الملحة، بعد أن تناقصت موارد الإتاوات وغنائم البحر، بتراجع أساطيل القوة البحرية أمام

(1). نفسه، ص 232.

(2). بن أبي الضياف، احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج2، النشرة الثانية، دار التونسية للنشر تونس 1977، ص 77.

(3). سعد الله، مرجع سابق، ص 187.

(4). محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى عصر الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش، محمد عجيبة، ط3، دار سراس للنشر، ص 83.

نظيرتها الأوروبية⁽¹⁾، وداخلية بظهور زعامات مثلتها اسر ذات نفوذ محلي، مع تزايد قوة متنامية مبنية على الكرغلة والمخزن في مواجهة الأخطار الداخلية التي تهدد حكومات المنطقة، لتكون محل الانكشارية التي شاخت وهرمت مع بداية القرن التاسع عشر⁽²⁾، فكانت كمنطلق لقوة جديدة غير نظامية عرفت بقوة المخزن.

2. قبائل بلاد المغرب في القرن 18م:

في بداية القرن الثامن عشر وجهت الحكومات العثمانية لبلاد المغرب أنظارها نحو الدواخل، للأسباب سالفة الذكر، وللاستفادة من ثرواته، باعتباره يمثل ما نسبته 95% من السكان وهم يعيشون في قبائل متناثرة، بحيث اعتمدت كل مجموعة سكانية على موقعها في تحديد نشاطها اليومي⁽³⁾ فكان بذلك المجتمع الريفي بدوره مقسما إلى أقسام منها المتعامل مع الحكومة ومنها الخاضع والممتنع، كل حسب قوته ودرجة استعداده لمقاومة السلطة المركزية، فانقسم المجتمع الريفي إلى:

أ. قبائل الرعية: وهي القسم الخاضع مباشرة إلى الإدارة المركزية، ومعرض لمختلف الضغوطات وأنواع الاستغلال كالحرث، البذر وحصاد

(1). ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسلت وابحات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار اليصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 210.

2. محمود على عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى-ليبيا"، الجمعية التعاونية للطباعة، جامعة دمشق، دمشق، 208.

(3). G.Esquer, Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, Lib la rose, paris 1929, p8.

الأراضي التابعة للدولة، وكذا الاهتمام بحيوانات البايك، ودفع الضرائب المتنوعة كنوع من الخضوع⁽¹⁾

ب. القبائل الممتنعة: وهذا القسم على نقيض قبائل الرعية، فقد بقي بعيدا عن السلطة المركزية متحصنا بمناطقه الطبيعية من جبال وأودية كمنطقة الاوراس، الونشريس، البابور والقبائل وغيرها بالجزائر وتعرف مثل هذه القبائل في تونس باسم "أهل المنعة" مثل المقعد وجبل الخمير وجبل الظهرة مثل أولاد أبي الليل، أولاد حمزة، أولاد شنوف، أولاد سعيد⁽²⁾ ومنطقة الجنوب التونسي قفصة وأولاد مدافع، جبل وسلات ومطماطة⁽³⁾ إلى غاية جبل نفوسة بطرابلس الغرب إلى جانب بعض القبائل التي كانت تتاخم الصحاري، وكانت هذه القبائل الممتنعة على رأسها عائلات تعتمد أساسا في فرض نفوذها على السلطة الروحية أو الكفاءة الحربية⁽⁴⁾ كأولاد سليمان بطرابلس الغرب⁽⁵⁾ وعملت الحكومة على تدجينها أو ترويضها أو محاصرتها بقبائل موالية للسلطة المركزية.

ج. القبائل المتعاملة أو المتحالفة: أما هذا النوع من القبائل المتعاملة مع الحكومة العثمانية فكان على شقين متميزين أحدهما تزعمته الأسر الكبيرة ذات النفوذ وتم استمالتهم بالعطايا والهدايا والمناصب الشرفية وبذلك تعاملوا

(1). M. EMERIT, « Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle », in Annales économies sociétés, civilisations, N° 1, Année 1966, P45.

(2). الهادي، النجومي، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956، ط 2، نشر دار محمد علي الحامي، تونس 2001، ص 21.

(3). مقديش، محمود، نزعة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ، ط 1، المجلد 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص 92.

(4). C. BONTEMES, Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance, édition Cujat, paris 1976, P54.

(5). كلود زليتنر، جان، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا (1500-1795 إفريقيا)، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام مسراته 2001، ص 399.

وتحالفوا مع السلطة المركزية لخدمة مصلحتها وتثبيت حكمها، لتحكمها في توجيه مجموعات سكانية ريفية مثل المشيخات في الشرق الجزائري كمشيخة أولاد عزيز، أولاد عبدي، أولاد بوضيف وغيرهم⁽¹⁾ والحاميد التي كان يستقبل شيوخها بطلاقات مدفعية من الباشا القرمانلي بطرابلس الغرب⁽²⁾، وقبيلة دريد الذي جعل من رؤسائها موالي ومستشارين شخصيين يستقبلهم حسين بن علي بالباردو باستمرار ويدعوهم إلى مائدته الخاصة⁽³⁾.

إلى جانب إقامة الصفوف والأحلاف كصالح باي (1771-1791م) الذي تعامل مع أولاد مقران بمجانة وأولاد بوعكاز بالصحراء وأولاد عاشور بفرجيوة والأحرار وأولاد بلقاسم في الشرق وجنوب شرق قسنطينة لضمان الأمن والاستقرار في المنطقة⁽⁴⁾ وطال هذا حتى العشائر مثل صف الغرابة في صراع ضد صف أولاد عبدي وصف أولاد سلطان ضد صف أولاد عيار⁽⁵⁾، في تونس ما بين باشية كجبل وولات وأولاد عيار، شداد...⁽⁶⁾

(1). سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 50.

2 Charles Feraud. L, Annales Tripolitaines, Libraire vuibert, Paris 1927, P194.

(3). الهادي الشريف، تاريخ...، مرجع سابق، ص 83.

(4). فلة موساوي-القشاعي، الريف القسنطيني، اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني(1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1983، ص 83.

(5). سعيدوني، ناصر الدين، "الإنسان الاوراسي وبيئته الخاصة (دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الاوراس قبل وأثناء العهد العثماني)"، عن مجلة الأصاله العدد 60-61، أوت- سبتمبر 1978، مطبعة البعث، الجزائر 1978، ص 143.

(6). ألفونص روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تعريب محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1992، ص 176.

وحسينية كل من قبائل دريد وأولاد سعيد والسواسي والمثاليث وجلاص وأولاد عون والكعوب⁽¹⁾

والشق الثاني عرفت قبائله باسم قبائل المخزن، ومن الأسباب التي دفعت بحكام المنطقة إلى استخدام قبائل المخزن، كثرة الثورات واشتداد الهجمات الأوروبية، مع قلة عدد الجند النظامي⁽²⁾، إلى جانب ما كانت تعيشه هذه الطائفة التي تمثل الأقلية، وحتى تحافظ على امتيازاتها ومصالحها، بالتقليل من التجنيد المشرقي، لأن هذا العمل اضطرهم إلى صرف أجور كثيرة ومصاريف وجرايات، ولهذا التجؤا إلى هذا نوع من القبائل، يعوضون بها القوة العسكرية الضرورية لحفظ الأمن ويوفرون عن طريقها تلك المصاريف والنفقات التي هم في غنى عنها⁽³⁾ ويعززون نظامهم الحربي، بفرق مكونة من كراغلة وقبائل المخزن⁽⁴⁾.

3. الكراغلة⁽⁵⁾:

تكونت هذه الشريحة نتيجة تزواج أفراد الجيش الانكشاري بالنساء المحليات، وظهرت أول مرة في الحواضر التي تركزت فيها الحاميات العثمانية،

(1). التجومي، تاريخ تونس...، مرجع سابق، ص 21.

(2). حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2007، ص78.

(3). ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص212.

(4). هلايلي، بنية...، مرجع سابق، ص78.

(5). حسب الدراسات التاريخية فإن زواج بين الأتراك ونساء شمال إفريقيا كتن زواجا هجيناً، نتج عنه ظهور طبقة الكراغلة وهم أبناء العبيد، لان الكوروغلي كلمة تركية معناها ابن العبد وهي إشارة إلى أصول هؤلاء الذين ينحدرون من هذا الزواج. ومصطلح "قول اوغلري" مركب من كلمتين "قول" بمعنى عبد و"اوغل" بمعنى ابن، لذا معناها ابن العبد اي عبيد السلطان العثماني. (أنظر: حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2007، ص 79 وما بعدها)

ولصلتهم بالعثمانيين وأهل البلد فقد ابعدوا عن الوظائف الإدارية العليا لكونهم فئة مستقلة ومتميزة⁽¹⁾، وهم جنود بالوراثة عند بلوغهم سن السابعة عشر⁽²⁾، فسخرها كقوة تقدم خدمات عسكرية وإدارية، كالخروج في الحملات التي تقوم بجمع الضرائب والحملات التأديبية للقبائل الثائرة ببلاد المغرب، مقابل التمتع بامتيازات مثل أبائهم وكان لهم جميعا مرتبات قارة بدون استثناء منذ الولادة إلى جانب امتيازات عينية أو نقدية مقابل ممارستهم لأي وظيفة أو القيام بخدمة.⁽³⁾

وبالجزائر وصلت إلى حد الصدام بين الكراغلة وأبائهم (1626 و 1628 و 1633) وطردها من العاصمة⁽⁴⁾ إلى منطقة واد الزيتون جهة واد سباو ليعرفوا باسم الزواتنية⁽⁵⁾ ليتحسن حالهم في القرن 18م حيث أسندت إليهم وظائف على مستوى الإدارة المركزية والمحلية وانخرطوا في الجيش كمشاة وكانوا أصحاب رتب⁽⁶⁾ ووصلوا إلى البايوية مثل أحمد باي قسنطينة (1826- 1837م)، محمد الذباح باي التيطري (1768-1771م)، ووصل عددهم في نهاية القرن 18م إلى 6000 نسمة، وشكلوا الغالبية في بعض المدن كتلمسان⁽⁷⁾ ليصل عددهم ما بين 8-10 آلاف في القرن التاسع عشر⁽⁸⁾ ليقدروهم فونتير دي

(1). عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-

اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الرويبة 2007، ص 26.

(2). عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882)، منشورات

مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، صفاقس 1995، ص 136.

(3). حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 117.

(4). غطاس، الحرف ... مرجع سابق، ص 26.

(5). مزيان وشن، بجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 113.

(6). غطاس، مرجع سابق، ص 26.

(7). هلايلي، مرجع سابق، ص 83.

(8). حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 117.

برادي في 1754 بـ 10000 رجلا⁽¹⁾ وليام شالر بـ 20000 نسمة في 1824م⁽²⁾.

كما اعتمدت كل من الأسرة الحسينية بتونس والقرمانلية بطرابلس الغرب على قوة الكراغلة العسكرية في ترجيح كفتهم، فحسين بن علي في 1706م قام بمحاولة التقليل من الجند المشرقي وتعويضه بالكراغلي، ليقضي على المطامح السياسية الانكشارية⁽³⁾، وتركزوا في تونس العاصمة، بتزرت، المهديّة والوطن القبلي ليصل عددهم أثناء الاحتلال الفرنسي إلى حوالي 7000 نسمة⁽⁴⁾.

ونفس الشيء قام به أحمد القرمانلي أثناء قضائه على قوة الداي محمود ابواميس والباشا خليل، اعتمد على قوة الكراغلة المرابطة بالمنشية والساحل⁽⁵⁾، وبتوليّه السلطة في 1711م عمل على إنشاء قوة كولوغلية تكون رديفة للانكشارية. بسبب ما شكله هذا الجند من تهديد وإعاقة لتحركاته والتصدي لمحاولاته الإصلاحية⁽⁶⁾، فأصبح الكولوغلية يشكلون الركيزة الأساسية في الجيش، بحيث يقدم رؤساء تجمعاتهم العدد المطلوب من الجند لقاء الإعفاء

(1). Venture De Paredis, Tunis et Alger au XVIII^e siècle, la Bib. Arabe, Sindbad, paris 1983, P168.

(2). وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر (1816-1824) تعريب وتعليق

وتقديم: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 46.

(3). الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 83.

(4). غطاس، مرجع سابق، ص 26.

(5). نيكولاي ايليشن بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين،

ترجمة وتقديم: عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان 2001، ص 106.

(6). علي عامر، مرجع سابق، 209.

من الضرائب⁽¹⁾ وتركزوا بالمنشية والساحل وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر تراجع عددهم ليصل إلى 600 من الكولوجية⁽²⁾.

4. المخزن:

ويعرف الأغا بن عودة المازري هذه القوة بقوله: "المخزن هم الأعيان بالإجماع، واستقامة الملك إنما تكون بالمخزن الأعيان لا الأتباع." ⁽³⁾، وابن أبي الضياف يعتبر مشايخ القبائل من الأعيان⁽⁴⁾ وهنا الأعيان دلالة على الرفعة والمكانة، أي أن المخزن كان يسوس المنطقة مع العثمانيين، وهذه القوة العسكرية لم تظهر معهم بل ترجع إلى الفترة الإسلامية فقد استعملهم المرابطين، الموحدون، بني زيان وبني حفص لتستمر من بعدهم⁽⁵⁾، والمخزن يعتبر ركيزة أساسية في الجيش غير النظامي ببلاد المغرب في هذا العهد، وأداة دعم لجيش الانكشاري تارة ومنافسا له في أخرى، حسب تطور الأحداث السياسية والعسكرية، ووسيلة ردع وقهر القبائل العاصية، ونقطة قوة وتنفوذ في المعارك، وأداة طيعة في يد سيدها، وكان مصدر هذه القوة من العرب والامازيغ وكانوا تحت قيادة ضباط عثمانيين⁽⁶⁾.

أ. التسميات:

لقد اكتسبت هذه القبائل كيانا مستقلا ومتمائزا، منها من احتفظ بأسمائه مثل دريد، المحاميد، ومنها من لم تعد تعرف بأنسائها وأصلها إلا ما تعلق

(1). بروشين، تاريخ ليبيا ..، مرجع سابق، ص 160.

(2). نفسه، ص 130.

(3). الأغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج2، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، ص 114.

(4). ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ج2، ص 110.

(5). سعيدوني، ورقات ..، مرجع سابق، ص 208.

(6). أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 59.

بتسمياتها الجديدة قبائل الصحاري، الغزازلة، هاشم، العبيد، العثامنة، في حين اتخذت القبائل الكبرى تسميات محلية وألقابا خاصة استمدتها من الموطن أو الوظيفة مثل المكاحلية عرف بهذا لنوع السلاح الذي اشتهر به فرسانه، والمجموعات المخزنية من عزارة، زمول (جمع زمالة) دوائر (جمع دائرة) زواوة، حوانب، الرديف وعرفوا بذلك للمهام التي كانوا يمارسونها والتنظيم العسكري الذي كانوا يخضعون له والحيز الإداري الذي استقروا فيه⁽¹⁾.

ب. التشكيل:

ويرجع أصل هذه القبائل إلى الفترة الأولى من العهد العثماني إلى خير الدين عندما بحث عن سند له في المنطقة فانطلق في البداية على شكل خدمات مثل فرسان إضافيين أو مساعدين⁽²⁾، لذا برزت قبائل المخزن في شكل مجموعات سكانية تعميرية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية، وكحلقة الوصل بين الأهالي والحكام وبعضها تم تكوينها انطلاقا من تجمعات سكانية اصطناعية متميزة في أصولها ومختلفة في أعراقها تعيش في أرض تم إقرارهم فيها، ليؤلفوا جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة⁽³⁾ مثل مخزن العبيد⁽⁴⁾، تعتبر قبائل المخزن كجيش احتياطي يقوم بالعمليات العسكرية متى كانت الحاجة له، ثم يسرح في أوقات السلم إلى إعماله اليومية من خدمة الأرض والتربية الحيوانات وغيرها⁽⁵⁾، فكانت فرق احتياطية لها رواتب أقل ودرجتها ثانوية⁽⁶⁾.

(1). سعيدوني، ورقات ، مرجع سابق، ص 207.

(2). Henri. Federmann, « Notice sur l'histoire et l'administration du Belik de Titeri », in R.A, V11, A 1867, N°65, Paris 1867, P357.

(3). سعيدوني، ورقات...، مرجع سابق، ص 206-207.

(4). Federmann, « Notice sur ... », in R.A, V11, 1867, P358.

(5). بروشين، مرجع سابق، ص 159.

(6). هلايلي، مرجع سابق، ص 78.

وكان الانخراط والحصول على هذا اللقب، يتم من خلال تسليم الحاكم للفارس حصانا وبندقية وسرج ومؤنة ويتم تسجيله⁽¹⁾ وأحيانا يزود بكمية من الشعير لبذر الأرض الممنوحة له⁽²⁾، وفي حالة موته فان البندقية والحصان يتحولان إلى احد أقاربه المباشرين ليعوضه، وإلا يعودان إلى الدولة، وكانت الحكومة تقدم للمخزن ما يحتاجه من خيل المتحصل عليها من الضرائب المفروضة على الرعية أو عن طريق الغرامة أو العقاب⁽³⁾، ويقود المخزن شخص يحمل لقب الأغا ويقوم بتنفيذ الأوامر المعطاة من عند السلطة⁽⁴⁾. فأنشأت حكومات المنطقة قوات مخزنية فعالة وقوية ظهرت في تشكيلات متعددة:

في الجزائر :

الزموال: وهم مجموعة من القبائل المتحالفة، وهم من أقوى فرسان المخزن، يرأسها قائد الزمالة، وعلى رأس كل 50 منهم يعين شاولش، ويكون هذا النوع حوالي 20 قبيلة عسكرية⁽⁵⁾ وبالبايلك يعسكرون عادة في أماكن إستراتيجية كبايلك الشرق يعسكرون في عين مليلة بين قسنطينة وباتنة مثلا⁽⁶⁾.
الدائرة: هم فرسان ومشاة تابعين لقبائل غير قبائل المخزن، ويرأسها أغا الدائرة، المقيم بمدينة البايك، ويبلغ عدد أفرادها حوالي ألف فارس على رأسهم 30 شواش⁽⁷⁾، يعسكرون أيضا في الأماكن الإستراتيجية⁽⁸⁾، يدير أغا

(1). ابن ابي الضياف، اتحاف، ج2، ص 112.

(2). Robin, « Notice sur l'organisation militaire et l'administrative des Turcs », in R.A, A 17, N°99, Mai 1873, Paris 1873, P197.

(3). Federmann, Op.cit, P358.

(4). Ibid, P360.

(5). علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، الجزائر 2009، ص 238.

(6). محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، تقديم وتعليق: يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 25.

(7). خلاصي، الجيش...، مرجع سابق، ص 238.

(8). العنتري، تاريخ...، مصدر سابق، ص 26.

الدائرة فرقة القوم غير المنظمة في الأرياف ويتولى توفير ما تحتاج إليه، ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل العاصية⁽¹⁾ ومن ببايلك الشرق دائرة الوادي، دائرة الصراوة، دائرة المزارقية...⁽²⁾.

الصبايحية: يقودها أغا، وتجهز من وحدات إقليمية من قبائل المخزن، وتضمن الأمن للحواضر الكبرى، ويشتركون في المحلات للاستخلاص الضرائب وملاحقة العصاة⁽³⁾.

ووصل تعداد هذه القوة بايلك الشرق من ثلاث فئات عسكرية: الميليشيا، الزمول ودوائر المخزن، إلى 45 ألف رجل موزعين على: 22000 من المشاة و 23000 من الفرسان الخيالة⁽⁴⁾، وببايلك الغرب كان مخزنه يتكون من خمسة أعراش الدوائر والزماله والغرابه والبرجية والمكاحلية، وامتازوا بقوة بأسهم وشجاعتهم على العدو⁽⁵⁾، وببايلك التيطري يتكون من الزمول أو العبيد⁽⁶⁾. كما امتازت بعض القبائل الحليفة والكبيرة بتجنيد قواتها مثل قبيلة العواسي القادرة على تجنيد 10 آلاف رجل منهم أربعة آلاف فارس بالشرق الجزائري⁽⁷⁾.

(1). يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 49.

(2). خلاصي، الجيش...، مرجع سابق، ص 238.

(3). نفسه، ص 140.

(4). العتري، مصدر سابق، ص 25.

(5). محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وانيس السهران في اختار في مدينة وهران، تقدم المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص 228.

(6). Federmann, Op.cit, P288.

(7). فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة 2005، ص 91.

في تونس:

أنشأ البايات المراديون جيشا مركبا من الأهالي فكان كقوة منتظمة خارج إطار العسكر العثماني بل منافسة له، وبذلك خرج النفوذ من يد العثماني التقليدي (الديوان والداي) إلى الباي وحده (المرادي ثم الحسيني)⁽¹⁾. فكان الجيش مكون من الفرق التالية:

الصبايحية: وهم فرق من الفرسان بمثابة الجندرمة⁽²⁾، وتركزت مفارز الصبايحية في أربعة مناطق: وجق⁽³⁾ تونس، وجق القيروان، وجق الكاف ووجق باجة، وكان على كل وجق باش أغا وكاهية وباش خوجة، كما أن الكاهية يسكن ببلد وجقه، وكل وجق يصل إلى 600 فارس، يتم تزويدهم بالمؤن⁽⁴⁾.

الحوانب: ترجع هذه التسمية إلى عهد الدايات (1590-1640م)، عندما استحدثت فرقة للحراسة، وكانوا في البداية من الانكشارية لتتوسع فيما بعد إلى غيرهم، ولا يدخل في هذا التشكيل إلا من كان من الثقة⁽⁵⁾، ولهم مهمة حفظ الأمن والمشاركة في المحلات⁽⁶⁾، وكل وجق منها به 500 رجل، وكانوا بتونس، الكاف، القيروان، باجة...⁽⁷⁾.

(1). الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 82.

(2). نفسه، ص 78.

(3). الوجق: جمعها أوجاق، كلمة تركية الأصل تطلق على إقليم واصطلاحا تطلق على مركز التي يقيم فيه العسكر. (أنظر: عبد الجليل التميمي، الجيش في عهد محمد الصادق...، مرجع سابق، ص 144).

(4). ابن أبي الضياف، إتحاف، ج2، ص 111.

(5). عبد الجليل التميمي، الجيش في عهد محمد الصادق باي (1859-1882)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، صفاقس 1995، ص 145.

(6). ابن أبي الضياف، إتحاف، ج2، ص 112.

(7). التميمي، الجيش في عهد محمد الصادق...، مرجع سابق، ص 145.

المزارقية⁽¹⁾: وهم فرسان من العروش⁽²⁾، فكان في كل عرش فرسان عددهم بنسبة عدد القبيلة، ولهم راتب زهيد، وهم معفيون من الضرائب، وكان يتولاهاهم باش كاتب يقوم بتسجيل أسمائهم وأعدادهم، ويتولى قيادتهم قايد العرش وهو في نفس مرتبة كاهية الصبايحية، ويستنفرون في حالة الحرب، ويأتي كل فارس منهم براجل من المشاة من خيامه، وتميزوا ببأسهم وقوة شكيمتهم⁽³⁾.

الزواوة: وهم من أصول جزائرية من منطقة القبائل هاجروا نحو تونس للعمل فيها، وقد كون منهم حمودة باشا (1782-1814م) حرسا خاصا على اثر تمرد الانكشارية في 1804م⁽⁴⁾ وكانوا أيضا مشاة ينظمون تحت النمط العثماني⁽⁵⁾، عد 1816م وقضاء على ثورة الترك في عهد محمود باي (1818-1824م) قام بالاستكثار من جند زواوة وجعل لهم رواتب واعتنى بهم وأقامهم في حلق الجند التركي⁽⁶⁾.

(1). المزارقية: ويسمون بالمزارقية نسبة إلى للمزراق وهو عود السنان. (أنظر: ابن أبي الضياف، إتحاف، ص 112).

(2). التميمي، مرجع سابق، ص 147.

(3). ابن أبي الضياف، إتحاف، ج 2، ص 112.

(4). فوزي المزوغي، "الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، عن أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دورتا سنة 1993-1994، مجموعة سراسر، تونس 1996، ص 14.

(5). الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 78.

(6). ابن أبي الضياف، إتحاف، ج 2، ص 157.

في طربلس الغرب:

كان الجيش القرماني ينظم من بين المرتزقة لمدة العمليات الحربية ثم يسرح وهو يجمع أساسا: الكولوغلية، ومن الكتائب المسلحة من القبائل الصديقة للحاكم مثل قبيلة المحاميد وأولاد سليمان⁽¹⁾ وأهم فرقه:

الرديف: وظهر في عهد الداى محمد باشا صارقزلي الذي تولى في سنة 1633م قام بتنظيم الجيش وإعدادة، وحدد الرواتب، تدفع كل 03 أشهر، ومنح الفرسان 04 سكودات شهريا، وقام بإنشاء وتشكيل قوات عسكرية إضافية، سماها الرديف، وهي تتألف من الأهالي والعييد مهمتها حفظ الأمن، وعهد أمر الإشراف عليها إلى مشايخ، في حين عهد إلى زعماء القبائل البدوية مهمة تنظيم قبائلهم⁽²⁾، وكان بإمكان الباشا القرماني أن يجمع جيشا يضم 10 آلاف خيال و 40 ألف من المشاة⁽³⁾.

ج. دور قبائل المخزن:

لقد زاد الاعتماد على قبائل المخزن ما بين القرنين 18-19م بسبب برهنتها أثناء المعارك على كفاءتها وفعاليتها، حتى أصبحت بمثابة العمود الفقري في:

*. توفير الأمن:

كان المخزن يعمل على تثبيت التواجد العثماني الفعلي داخل المنطقة نظرا لقلّة عدد جنود الحاميات، وبذلك استعان العثمانيون بالقادة ذوي النفوذ مقابل منحهم حرية الإدارة المحلية مع الحفاظ بحق المراقبة⁽⁴⁾، مع إعفاء تلك

(1). بروشين، مرجع سابق، ص 159.

(2). على عامر، مرجع سابق، ص 195.

(3). بروشين، مرجع سابق، ص 160.

(4). محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر 2002، ص 46-47.

القبائل من الضرائب غير الشرعية، فكانت تتسلط على قبائل الرعية، وبذلك تضمن طاعتها، مثل الإتاوة التي كان يتحصل عليها أعيان قبيلة دريد من واحات الجريد بتونس وفي طرابلس الغرب قبيلة المحاميد الذي منح لها الحفاظ على الأمن في منطقة الجبل الغربي⁽¹⁾، وحتى يطمئن العثمانيون على الأمن وضعت قبائل المخزن في نقط عسكرية وإستراتيجية كحاميات على الطرق الرئيسية الرابطة بين الحواضر (الطرق السلطانية)، الجسور، المخائق والأسواق، وحافظوا على امتيازاتهم ما دموا محافظين على الأمن ويسهلون مرور الجنود⁽²⁾، ففي عهد صالح باي (1771-1792م) نقل جنود الزمالة إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة وأسكنهم هناك لمراقبته⁽³⁾.

*. المشاركة في الحروب:

من المهام التي يقوم بها المخزن المشاركة في الحروب، وكانت النقطة الفاصلة مع القوات النظامية في الحروب التي شاركت فيها⁽⁴⁾ إلى جانب كانت على درجة من القوة في تغيير مجرى المعارك، مثلاً الحرب الجزائرية التونسية التي حرت سنة 1735م وانتهز قواها الباي حسين بن علي بسبب تخاذل قبيلة دريد وانضمام قبيلة أولاد سعيد إلى ابن أخيه علي باشا في 4 سبتمبر 1735م⁽⁵⁾. وفي حرب 1807م قادة الجيش الجزائري كل من باي قسنطينة حسين باي و الباشا أغا يقوة مقدرة بـ 18 ألف رجل وقاد الجند التونسي

(1). التجمي، مرجع سابق، ص 22.

(2). حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، م2، ج2، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان 1992، ص 365.

(3). العتري، مصدر سابق، ص 81.

(4). Federmann, Op.cit, P359.

(5). روسو، الحوليات...، مصدر سابق، ص 178.

يوسف صاحب الطابع بعدد 40 ألف مقاتل⁽¹⁾، صدّ فيها الزحف الجزائري على واد السراط في أوت 1807م⁽²⁾، حيث انهزم فيها الجيش الجزائري بتعاون بعض القبائل الجزائرية مع التونسيين وعلى رأسهم قائد فرجية مصطفى بن عاشور⁽³⁾.

*. إخماد الثورات:

من الأعمال الجليلة التي قدمها المخزن للحكومات العثمانية في بلاد المغرب هي إخماد وصد تلك الثورات التي كانت تأخذ أشكال متعددة كالعصيان أو عدم دفع الضرائب أو مناصرة داعية...، وشهدت المنطقة في هذا العهد تمردات وثورات ما تكاد تنطفئ إحداها حتى تقوم أخرى⁽⁴⁾.

قد كلفت الحملات التي يقوم بتجهيزها حكام أموالا باهظة ساهمت في بداية القرن التاسع عشر على وقوع أزمات وضائقات مالية خاصة في طرابلس الغرب وتونس، ورغم ذلك كان يتم تجهيزها لتضم أعدادا ضخمة من مقاتلي قبائل المخزن، فكانت تستخدم بصورة ناجحة في تأديب القبائل خصوصا التي تكون في حالة عداوة مع القبيلة الموالية للحاكم⁽⁵⁾.

وقد أسالت تلك الثورات كثيرا من الخبر وعلى سبيل المثال لا الحصر ثورة ابن الأحرش ودرقاوة⁽⁶⁾ وقد خلدت أمثلة حية على بطولات رجال

(1). ابن أبي الضييف، إتحاف، ج2، ص 62.

(2). الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 91.

(3). العتري، مصدر سابق، ص 96.

(4). Federmann, Op.cit, P359.

(5). بروشين، مرجع سابق، ص 160.

(6). أنظر: محمد الصالح العتري، الفريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها...

- محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وانيس السهران في اختار في مدينة وهران

المخزن ومنهم من خلدوا بأبيات من شعر مثل قدور بن إسماعيل البحتاوي أغا قبائل المخزن بيايلك الغرب التي نقتطف منها⁽¹⁾ :

جزى الله جل الناصر بالبواتر ** قدور بن إسماعيل رأس الدوائر.

لحزب الأتراك في جميع المعارك ** فانه ليث الحرب بـقـاـدـر.

كما أنه خلال هذه الثورات ظهرت أسر قوية قادت بعض القبائل المخزنية ضد تلك الثورات في القرن التاسع عشر، مثل أسرة بن عاشور بفرجيوة، بن عز الدين في زواغة والمقراني في جيحل الذين لعبوا دورا في صد ثورة ابن الاحرش⁽²⁾، وكذا أسرة المخفي⁽³⁾ وأبناء عمه⁽⁴⁾ وأسرة البحتاوي التي منها قدور بن إسماعيل السابق، لعبوا دورا في حرب درقاوة⁽⁵⁾.

في تونس سنة 1795م قامت ثورة جهة ماجر في الشمال تحت قيادة حامد بن شريفة وتبعته قبيلة أولاد مساهل، وكانت نهايتها إلقاء القبض عليه والتنكيل بقبيلة أولاد مساهل التي نفيت إلى القيروان⁽⁶⁾.

وبطرابلس الغرب دور قبيلة أولاد سيف التي وقفت إلى جانب يوسف باشا القرمانلي (1795-1832) ضد قبيلة المحاميد القوية على إثر مقتل

(1). الزباني، دليل ...، مصدر سابق، ص 218.

(2). علي خنوف، تاريخ منطقة جيحل قديما وحديثا، ط1، منشورات الانيس، الجزائر 2007، ص 76.

(3). أسرة قدور بن المخفي أسرة موالية للعثمانيين كانوا بمدينة البرج. بمعسكر وقد عرفت المدينة بهم برج ولد المخفي إلى زماننا هذا واصله من برج عياش، وقد حاربوا الأمير عبد القادر، وانتقم منهم، وتوارثت أسرته وظائف طويلة العهد الاستعماري. عن محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في اختار في مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص 223.

(4). الزباني، مصدر سابق، ص 223.

(5). نفسه، ص 214-216.

(6). ابن أبي الضياف، إتحاف، ج3، ص 45.

زعيمها بلقاسم بن خليفة سنة 1821م، وتم فك النزاع بوضع غومة بن خليفة الحمودي رئيسا على المحاميد⁽¹⁾، وكذا ثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف نصر في 1830م استعان فيها بالكلوغلية من الساحل والمنشية والزاوية وزليطن ومصراتة، وانتهت بتدخل المرابطين وشيوخ قبيلتي أولاد يوسف وأولاد بن مرسين⁽²⁾، فكانت تلك الثورات سببا في تخريب شامل للحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتقتيل مئات من العباد⁽³⁾.

* استخلاص الضرائب:

كانت القبائل الكبيرة في بلاد المغرب في العهد العثماني يعطى لها امتياز جمع الضرائب على القبائل الواقعة في إقليمها وتحت سلطتها، مثل شيخ الحنانشة تحت 12 قبيلة، قائد الحراكمة تحت 32 قبيلة⁽⁴⁾، لذا نجد أن هذه السياسة قد ساهمت في ظهور أسر لزامة في القرن 18م توارثت هذا المنصب خصوصا في تونس، كاسرة الجلولي (صفافس)⁽⁵⁾، وابن عياد (حربة)، بن ساسي (الجريد)، المرابط (القيروان)، السبوعي (جلاص)، قضموم (الفراشيش)...⁽⁶⁾، وتلك الضرائب التي كانت تحت عدة مسميات كالغرامة، الزمة، المؤونة... إلى جانب العشور والزكاة⁽⁷⁾.

(1). بروشين، مرجع سابق، ص 164.

(2). نفسه، ص 240-241.

(3). بن عبد القادر، مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 55.

(4). العنتري، مصدر سابق، ص 30.

(5). Cherif, M.H, Pouvoir et société de la Tunisie de H'sayne ben Ali 1705-1740, T1, Publications de l'université de Tunis, Tunis 1986.

(6). التجومي، مرجع سابق، ص 15.

(7). Federmann, Op.cit, P359.

وكان باي بابلک التيطري عند نهاية الخريف يرسل الصبايحية إلى كل القبائل للقيام بالاتفاق مع شيوخها لإحصاء الأراضي التي ستحرث وتحديد نظام عشورها، وحتى عند الدفع يحضر الحاكم وأغا الصبايحية⁽¹⁾، وبقري أهل عمراوة المخزنية كانوا يقومون بجمع الضرائب في هذه المنطقة⁽²⁾.

فكانت تلك ضرائب التي اتسمت بالتنوع والتعدد اختلفت حسب المواسم والفصول، وهذا لضمان استمرارية تدفق الأموال إلى خزائن حكومات المنطقة، عن طريق تجهيز المحلات التي تشارك فيها قبائل المخزن.

*. المشاركة في المحلات:

وكانت القوات المخزنية تجند في محلات جمع الضرائب التي تنشأ في أوقات معلومة ففي الجزائر تخرج المحلات من مقر البايك بعد دعمها بقوة عسكرية نظامية ومخزنية وتنطلق من دار السلطان، نحو بابلک قسنطينة والتيطري ووهران، ونفس الشيء بتونس فكانت المحلات تخرج بقيادة الباي مرتين كل سنة وعرفت باسم محلة الصيف نحو المناطق الشمالية، وفي الشتاء نحو الجنوب⁽³⁾ وكذا في طرابلس الغرب خروج البايات نحو العمالات⁽⁴⁾ لجمع الضرائب وتفقد المناطق، كما توفر لها قبائل المخزن الأمن والراحة والمؤن عندما تمر على أراضيها، إلى جانب المشاركة فيها وكل منطقة تمر عليها الا وتنضم إليها قوات

(1). Ibid, P215.

(2). فرج، تاريخ تيزي وزو...، مرجع سابق، ص 38-40.

(3). التجومي، مرجع سابق، ص 15.

(4). حسن السور، صلاح الدين، "الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، مشاكل الضغط والتوتر"، عن مجلة البحوث التاريخية، السنة 6، العدد الثاني، يولييه 1984، منشورات جامعة الفاتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1984، ص 368.

مخزنية جديدة، فيتضخم عدد تلك المحلة. التي تزرع الرعب والخوف في قبائل الرعية وغيرها.

الخاتمة:

وفي الأخير فان القوى المحلية أو الفرق العسكرية غير النظامية في بلاد المغرب لعبت دور مهم في تثبيت الوجود العثماني لفترة تزيد على أكثر من ثلاثة قرون من خلال تلك التشكيلات العسكرية من كراغلة وزواوة وصبايحية وفرسان مخزن والعسكر الرديف ويضاف إليهم دور بعض المرابطون المواليون لنظام الحكم في الأرياف والعلماء في الحواضر، مقابل امتيازات وإعفاءات، لذا يمكن القول أن قلة الجند الانكشاري في المنطقة منذ البداية لم يكن مشكلا في عملية سيطرة عليها، فتم تعويض النقص محليا، حتى أن الاستعمار الأوروبي قد اعتمد على تلك التشكيلات التي وجدها بالمنطقة ومنها فرسان الصبايحية وزواوة كقوات داعمة له في الجزائر مثلا.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ باللغة العربية:

1. أبي الضياف، احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج2، النشرة الثانية، دار التونسية للنشر تونس 1977.
2. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
3. الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج2، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع.
4. ألفونس روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تعريب محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1992.
5. بن عبد القادر، مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رباح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
6. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج2، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، 1992.
7. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2005.
8. حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2007.
9. سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
10. سعيدوني، ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
11. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005.
12. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الرويبة 2007.
13. عبد الجليل التميمي، الجيش في عهد محمد الصادق باي (1859-1882)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، صفاقس 1995.
14. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة 2005.
15. فلة موساوي-القشاعي، الريف القسنطيني، اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 1983.

16. كلود زليتنر، جان، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا (1500-1795 إفريقيا)، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام مسرته 2001.
17. محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر 2002.
18. محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى عصر الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر.
19. محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في اختار في مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978.
20. محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، تقديم وتعليق: يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
21. محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى-ليبيا"، الجمعية التعاونية للطباعة، جامعة دمشق، دمشق، بدون سنة.
22. مزيان وشن، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007.
23. مقديش، محمود، زهرة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومحمد محفوظ، ط1، المجلد 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
24. نيكولاي ايليشتن بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان 2001.
25. الهادي، التجومي، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956، ط2، نشر دار محمد علي الحامي، تونس 2001.
26. وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824) تعريب وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
27. يحي بوعزيز، دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.
28. يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

ب/ باللغة الأجنبية:

29. BONTEMES .C, Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance, édition Cuja, paris 1976.
30. Charles, Feraud. L, Annales Tripolitaines, Librairie vuibert, Paris 1927.

31. Cherif , M.H , Pouvoir et société de la Tunisie de H'sayne ben Ali 1705-1740, T1, Publications de l'université de Tunis, Tunis 1986.

32. Esquer .G, Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, Lib la rose, paris 1929.

33. Venture De Paradis, Tunis et Alger au XVIII^e siècle, la Bib. Arabe, Sindbad, paris 1983.

المقالات:

أ/ باللغة العربية:

1. أبو القاسم سعد الله، "السلطة والطرق الصوفية في المغرب العربي أثناء العهد العثماني"، عن خطى المسلمين حراك في التناقض، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009.

2. حسن السوري، صلاح الدين، "الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، مشاكل الضغط والتوتر"، عن مجلة البحوث التاريخية، السنة 6، العدد الثاني، يولييه 1984، منشورات جامعة الفاتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس 1984.

3. سعيدوني، ناصر الدين، "الإنسان الاوراسي وبيئته الخاصة (دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الاوراس قبل وأثناء العهد العثماني)"، عن مجلة الأصالة العدد 60-61، أوت- سبتمبر 1978، مطبعة البعث، الجزائر 1978.

4. فوزي المزوغي، "الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، عن أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دورتا سنة 1993-1994، مجموعة سراس، تونس 1996.

ب/ باللغة الأجنبية:

5. EMERIT .M, « Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^e siècle », in Annales économies sociétés, civilisations, N° 1, Année 1966.

6. Henri, Federmann, « Notice sur l'histoire et l'administration du Belik de Titeri », in R.A, V11, A 1867, N°65, Paris 1867.

7. Robin, « Notice sur l'organisation militaire et l'administrative des Turcs », in R.A, A 17, N°99, Mai 1873.